

حج الحياة الحقيقية في الله في موسكو ، 2-10 أيلول 2017

كيف نبني الجسور بين انقساماتنا ونحقق السلام في العالم؟

المطران سلوانس بطرس النعمة

مطران حمص وحماه وطرطوس - كنيسة السريان الأرثوذكس

ما هو الجسر الذي يجمع الأديان ويجلب السلام للعالم

يطيب لي في البداية أن أقدم شكري وتقديري للذين دعونا إلى هذا اللقاء الأخوي الذي يجمع كل الأديان في جو تسوده المحبة والتآخي والتعاون تحت سقف واحد لإيجاد السبل الحقيقية المشتركة لإحلال السلام والأمان في العالم الذي يشهد حروب ونزاعات مختلفة بحجج دينية والدين بريء. ولدت فتن طائفية وأفكار إرهابية وتكفيرية وعالم تتخبط فيه السياسة والاقتصاد والتجارة ومصالح دول على حساب دول يذهب ضحيتها الضعفاء والفقراء. عالم فيه كل دولة تتخذ من الأديان طريقاً لتحقيق مآربها بحجج واهية:

(تحقيق الديمقراطية - الحرية الإنسانية - حرية الأديان - متطلبات المجتمعات) وهي مثل الحملان الوديدة ولكن في الباطن ذئب خاطفة وضحية كل هذا هو الإنسان مخلوق الله الجميل الذي هو محور الحياة ومحور الكون ومحور الأديان. فكل واحد فينا يبني إنسانه حسب ديانته وحسب عقائده وحسب عاداته الاجتماعية والثقافية والتربوية والإنسانية. ويعتبر أن ما يقوم به هو تحقيق الغاية الإلهية ومن هنا نرى مآسي كثيرة ولدتها الأديان بسبب عدم التفاهم والحوار والبعد عن الآخر.

وكان لا بد من أن تتجه المساعي والأنظار نحو الحوار للتغلب على العديد من المشاكل الحياتية على جميع المستويات فالدين هو في الحقيقة المكون والمقوم الأساسي للحضارة الإنسانية وذاتيتها. وذلك باعتبار أنه هو الوحيد الذي يوفر لها ويمدها بالقيم والمثل التي بها تحقق وجودها وصيرورتها وقوتها وشرعيتها وديمومتها في التاريخ. والتي بانعدامها يختل ذلك كله. ومع هذا الدور المحوري للدين في حياة المجتمع البشري فإنه كثيراً ما يجد نفسه في بؤرة الاتهام فإنه سبب في حدوث الصراع والقتال والإبادة بين الجماعات البشرية وإنه المسؤول عن وقوع تلك المآسي الإنسانية. فلا عجب إذا اتجهنا نحو الحوار بين الأديان وعلقتنا آمالنا بالوصول غلى حل ناجح حداً لتلك المآسي والحقيقة كما قال اللاهوتي الكاثوليكي الألماني المعروف هانز كونغ Hans Kung ((لن يكون هناك سلام بين الأمم ما لم يكن هناك سلام بين الأديان ولن يكون هناك سلام بين الأديان ما لم يكن هناك حوار بين الأديان)).

فهل يا ترى المشكلة في الأديان بسبب غياب الحوار فيما بينها؟ وهل الحوار هو الحل السلمي للأديان؟ وما هي جسور التلاقي فيما بينها؟

نقول المشكلة ليست في اعتقادنا في غياب التحاور بين الأديان إنما المشكلة الحقيقية في تلك الظاهرة الجديدة المتمثلة في الصراع السافر للأديان. هذه الظاهرة ما فتئت تزداد حدة منذ هيمنة الإيديولوجية العلمانية القاتلة بضرورة فصل الدين عن الدولة، والشؤون العامة للمجتمع معلنة أن الدين أفيون الشعوب. ومبشرة بموت الإله وقد عبرت هذه الموجة العدوانية للدين عن نفسها من خلال جهود مكثفة ومحاولات منظمة مكثفة عبر التقارير السياسية الدولية وغيرها من وسائل الإعلام التي تصب في رسم صورة قبيحة ومنفردة للأديان بوصفها مصدر كل الشرور في العالم.

هذا اللقاء هو حلقة لتعزيز التفاهم والتعاون واحترام التعددية الدينية والثقافية من أجل مكافحة الصراع والنزاع وزرع الإيمان في وجه الإلحاد والسلام في مواجهة الحروب والأخوة في مواجهة العنصرية.

فعلينا الدفاع عن كرامة الإنسان في بناء عيش مشترك سلمي بين الشعوب وفي حماية الخليقة والعمل على وحدة الأسرة البشرية في البحث عن الحقيقة والخير والجمال وإن جسور السلام نبنيها على:

1- خدمة الفقير دون التوقف عند الاختلافات الدينية أو الإثنية أو العرقية.
2- التعاون في سبيل خلق السلام والحفاظ عليه لكي يكون الدين دائماً بريئاً من أي عنف أو قتل أو دمار.

3- العمل على التغيير الجذري بنقل الجميع إلى تفاهم وإيجاد حلول جذرية للمشاكل والاعتراف بالتعددية كقيمة مضافة للمجتمعات. فإننا من منطلق إيماننا المسيحي الذي يدعو للسلام والمحبة ويحث على التآلف ونبذ الإقتتال والتآمر وإيذاء الآخر على أساس الاختلاف الديني أو العرقي. مخاطبة الإله، إله المحبة والسلام الذي خلق الإنسان على صورته ومثاله ونفخ فيه نسمة الحياة ليعيش حراً على الأرض، علينا أن نحقق مشيئته الإلهية ونتصالح مع بعضنا البعض ونضع عقائدنا اللاهوتية جانباً لأن قراري أين أولد ولأي طائفة أنتمي ولأي قومية أو إثنية أو وطن لم أتخذها أنا ولم يكن بإرادتي بل هي إرادة ربانية. وليلمك في قلوبنا سلام الله الذي إليه دعينا (كو 3: 15) ونصلي ليحل السلام من الرب على وجه الأرض (سيراخ 38: 8) فإن الله ليس إله تشويش بل إله سلام (1 كو 14: 33).

وإن السلام في المسيحية هو عطية ربانية أعطيت لنا من الرب يسوع قبل صعوده (سلامي أعطيكم وليس كما يعطي العالم أعطيكم أنا، لا تضطرب قلوبكم ولا تترهب. يو 14: 27)

فلنعكف إذأ على ما هو للسلام وما هو للبنيان بعضنا لبعض (رو 14: 19).

لأن الرب يعطي عزاً لشعبه، الرب يبارك شعبه بالسلام (مز 29: 11). والسلام هو أخيراً كما قال القديس أغسطينوس ((رزانة العقل، هدوء النفس، بساطة القلب، رباط الحب رفيق المحبة إنه هو الذي ينزع العداوات ويوقف الحروب ويصد الغضب ويكسر الكبرياء. و يجب المختصمين ويصالح المتعادين وهو مبهج ومقبول بالنسبة للجميع.))

اتبعوا السلام مع الجميع سالموا جميع الناس وطوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون (متى 5: 9).

فالسلام الجسر الذي يربطنا جميعاً بعضنا مع بعض وهو نداؤنا و صلواتنا وأمنيتنا أن تربط المحبة ما بين القلوب ولنكسر حواجز البعد والكرهية ونبني الإنسان بناءً صحيحاً معاً لنحقق غاية الله المنشودة أحبوا بعضكم بعضاً وما من حب أعظم من أن يبذل الإنسان نفسه فداءً عن أحبائه.

ونحن في سوريا مهد الديانات السماوية وأرض الحضارات عشنا مع إخوتنا المسلمين أكثر من ألف وخمسمائة عام في جو من المحبة والتعاون والاهتمام مع بعضنا البعض في بناء الوطن والدفاع عنه وخلال هذه الأزمنة التي تمر بعامها السابع حاولت قوى الشر تمزيق العلاقة ما بين المسلمين والمسيحيين وحاول البعض زرع الخوف في قلوبنا وهناك مخططات قوية لتهدية المسيحيين من الشرق وهذا ما يؤلمنا لأنه سيحقق بذلك أهداف دول وأديان تعتقد بأن الوجود المسيحي في الشرق غير مستحب وأن المسيحيين هم جالية متناسين أن مهد المسيحية هي بيت لحم ومهد مسيحية أوروبا دمشق وأنطاكية وأن المسيحيين وخاصة السريان هم الذين نقلوا الحضارة اليونانية إلى السريانية ثم إلى العربية فنسعى اليوم لتوطيد العلاقة مع بعضنا البعض في ظل هذه الظروف الصعبة عاملين على محاربة الفكر الإرهابي ومناشدين بوقف الحرب وداعين إلى زرع السلام، وإلى اليوم لا تزال لقاءاتنا مستمرة وبكثافة في سبيل الحفاظ على وحدة وطننا وقوة علاقتنا وتعزيز عيشنا المشترك. ومن هنا أناشدكم أن تتعاونوا معنا في الحفاظ على كل المكونات والنسيج الوطني والديني في هذه الحديقة الغناء سوريا، الجميلة بأرضها وشعبها وإرثها الحضاري وتنوعها الديني. أن نحفظ لكل واحد مقامه ومكانته وحقه في العيش بهذا الوطن بكرامة وهناء وسلام.

أتمنى أن يكون لقاءنا هذا انطلاقة لبناء جسور المحبة ونناشد العالم ليسمع صوتنا لإيقاف الحروب ونبذ العنصرية وبناء الإنسان على أسس صحيحة مع الشكر الجزيل لإصغائكم .

والسلام لكم والسلام معكم.